

سكـرتير الله

بقلم د. فخري مشكور

الجزء الأول

1436 هـ / 2015 م

(1)

ضاقت به الدنيا ... إنه يعاني منذ أول يوم في حياته، فقد ولد وهو مصاب بمرض السكر. لا يتذكر معاناته وهو رضيع، في الحقيقة لا يعرف إذا كان يعاني أم لا، فهو لا يعلم بالضبط كيف يشعر حديث الولادة بالألم، وإلى أي حد، لكنه يعرف بالتأكيد أن وخز الإبر بسبب حقنة الأنسولين تؤلمه الآن مرتين أو ثلاث مرات في اليوم. كيف كان يتألم عندما كان رضيعاً؟ كيف استقبل الوخزة الأولى من أول حقنة أنسولين تلقاها وعمره يوم واحد؟

على كل حال لقد نشأ مع الوخز، وكبر مع الإبر الواخزة، وشبَّ مع الأنسولين والألم، وخصَّص - خلافاً لزملائه في المدرسة وأصدقائه في الملاعب - وقتاً لكي يحقن نفسه بالأنسولين مرتين أو ثلاث مرات، وهو مجبر أحياناً على قطع برامجه اليومية لتناول وجبة استثنائية إذا شعر بانخفاض السكر بينما يواصل الباقون لعبهم أو دراستهم لا يعكّر صفاءهم شيء... إنه أمر مقرف علاوة على كونه مؤلماً.

(2)

كَبُرَ وكبر معه الألم. الناس يتصورون أنه اعتاد على الوخز، ومع التعود تخف الآلام وتختفي المعاناة....مخطئون؛ لا يعلمون ما أعاني. كم تمنيت أن يصابوا بالسكر ليعرفوا ما أعانيه فيكفّوا عن نصائحهم لي بالصبر والتحمل...نصائح يفوق ألمها الوخز، ويزيد من ألمها جرعة الدين العالية التي لا تطيق معدة عقله هضمها...يا للقرف؛ يقولون إنه ابتلاء من الله، عليه أن يتحمّله، لا بل عليه أن يشكر الله أيضاً لأنه أصابه بالسكر وهو في بطن أمه... هراء...ربُّ رحيمٌ رحيمٌ يبتلي جنيناً بمرض يحمله معه من المهد إلى اللحد ... هه...أية رحمة هذه؟ إن بكاءه حين كانت أمه تحلّ قماطه لكي يخزوه بإبرة الأنسولين يمزق قلب الأمفما لقلب هذا الإله الرحيم لا يحنّ عليه، بل يواصل ابتلاءه؟

ويقولون أيضاً إنه على كل شيء قدير، فهل يقدر على شفائه لكنه يمتنع عن ذلك؟ إذن أين الرحمة؟

ويقولون إنه أحكم الحاكمين، ترى أين الحكمة في اختياره - من دون سائر أقرانه - لكي يصبه بهذا المرض اللعين الذي لا شفاء منه إلا بالموت؟

يتذكر مواعظ أبيه وتبريراته... أبوه يدافع عن الله الرحمن الرحيم... يحاول أن يبرئه من تهمة القسوة على الأطفال فيقول له: يا بني إن المرض ليس من الله، المرض ينتج عن عوامل متعددة منها فيروسات ومنها مواد ضارة وأشياء أخرى.

يصغي إليه مضطرباً ثم يستجمع شجاعته وأدبه معاً ليقول له: وهذه الفيروسات والمواد الضارة خارجة عن سيطرته سبحانه وتعالى؟

يضطرب الأب... لا يدري كيف يدافع عن الله أمام هذا السؤال. إن قال نعم، فقد أقرّ بضعفه، وإن قال لا فقد طعن في رحمته.

يلوذ الأب بالجواب الأخير، السلاح الأبيض الذي يلجأ له المقاتل حين تنفذ ذخيرته: إنها الحكمة... حكمة الله... نحن لا نعرف ماذا أراد الله منها... نحن بشر محدودو العقل محدودو المعرفة... لا نعلم شيئاً... هو سبحانه يعلم كل شيء.

وقبل أن يفرّ أبوه من ساحة المعركة تاركاً على الأرض حتى سلاحه الأبيض الذي لم يسعفه؛ لاحق الشاب أباه فضربه بالسوط على ظهره بسؤال هازئ: ومتى يتفضل علينا هذا الربّ - الذي يعلم كل شيء - فيخبرنا بعلاج السكر ليخلص مئات الملايين من البشر من

شرّه وآلامه، ما دام يعلم كل شيء، وما دام أرحم الراحمين، وما دام على كل شيء قدير؟ يقف الأب بعيداً عن ميدان القتال الذي هرب منه... لقد سقط منه سلاحه الأبيض، لكنه يتذكر سلاحه الأخير في الدفاع عن الله. يستدير نحو ميدان المعركة ليستخدم أسنانه وأظفاره في الدفاع عن سمعة ربه التي شوهاها هذا الإبن المصاب بالسكر. ينتزع أسنانه ليصنع منها ما تصوّره قبلة يدوية يلقي بها في وجه السؤال الأخير فيقول: ابتلاء... ابتلاء

...الدنيا دار ابتلاء. والآخرة هي دار الجزاء، وقد أعد الله لك ثواباً عظيماً يعوضك عن كل معاناتك في الدنيا ويدخلك.....
قبل أن يكمل يقاطعه الشاب قائلاً: يدخلني الجنة. أعلم ذلك، لكن ما رأيك أن يكف عن ابتلائي وأتنازل له عن التعويض؟
يهرب الأب وفي حلقه غصة؛ لا شفقةً على ابنه الذي يحبه كثيراً، بل شفقة على ربّه الذي يحبه أكثر... كيف فشل في الدفاع عن ربه؟

(3)

دخل شهر رمضان....بدأت العائلة كلها بالصوم. حتى هذه العبادة التي يجبها الجميع أصبحت ممنوعة عليه. إن الله الرحمن الرحيم منع عليه هذه العبادة لأنه مريض. أبوه يقول إن منعه من الصوم من علامات رحمة الله به، أما هو فيراها نقمة؛ لأنه يصبح في شهر رمضان كالحيوان الذي يلقي إليه الطعام ليأكل وحده، بينما تجتمع العائلة كلها- ما عداه - في أوقات أخرى لتأكل وتمارس عبادة الله التي حُرّم منها.
يقول له أبوه : يا بني إن رمضان هو ربيع القرآن، ومن قرأ آيةً من كتاب الله في شهر رمضان فكأنما قرأ القرآن كله فيما سواه من الشهور. يهدأ قليلاً.....يرى في هذا على أي حال رحمةً ومنحةً إلهيةً من ربه، لكن لماذا لا يكمل ربه نعمه فيشفيه من السكر؟
تصله الوجبة الثانية من نصائح أبيه الرمضانية: بني، إن أبواب السماء تفتح في هذا الشهر الشريف، فادع الله يستجب لك.
يسكت. لقد دعا الله آلاف المرات فلم يستجب له.. أي إنسان يطلب شيئاً عشر مرات فلا يحصل عليه فيواصل آلاف المرات؟ لماذا الإلحاح السخيف على طلب لا يتحقق؟

اقتربت ليلة القدر، وجاءت نصائح الأب عن يمينه، ونصائح الأم عن شماله لتحيط به كالكماشة: يا بني، ليلة القدر نزل فيها القرآن، فيها تُحدّد الأرزاق والآجال، فيها تفتح أبواب السماء ولا يردّ الله سائلاً في حاجة إلا أن يسأل الله المعصية. تعال معنا إلى المسجد نحبي الليل بالعبادة والدعاء لعل الله يستجيب لدعائك فيعطيك ما تحب.

دخلت الكلمات في قلبه قبل أن ترنّ في أذنه. ماذا يخسر لو أحيا هذه الليلة؟ ماذا يفقد لو دعا الله في ليلة القدر؟ أليس من الممكن أن يؤخر الله الاستجابة مدة طويلة ثمّ يحققها في مناسبة احتفالية كما يشتري الناس الملابس الجديدة لأطفالهم في العيد؟ أو كما يعفو الملوك عن المساجين يوم التوبيح؟

لن يخسر شيئاً... سيجرب... سيتوضأ ويصلي ويقرأ القرآن ويدعو هذا الرب الذي يلاحق عباده بسكين الابتلاء منذ مولدهم، ولا يكف عنهم ابتلاءه إلا على حافة القبر. ها... جاءت الفكرة... الابتلاء هو الاختبار، والله يختبر عباده في الدنيا ليحدد مكانهم في الآخرة... وطالما أن الابتلاء هو المحور الذي تدور عليه علاقة الله بعباده، فلماذا لا يستخدم نفس المحور في علاقته بربه؟ لقد اختبر ابراهيم ربّه بكلمات فأتمهن، واختبر ابراهيم ربّه بكلمات أيضاً حين قال له: " ربّ أرني كيف تحيي الموتى"، فلماذا لا يبتلي هو ربّه؟ لماذا لا يختبر الله ليتحقق من وعدٍ واحدٍ وعده الله عباده... وعد إجابة الدعاء... يدعو الله في ليلة إجابة الدعاء ليختبر صدق الوعد.

- "وجدتها"....

صرخ كما صرخ أرخميدس حين اكتشف قانون طفو الأجسام في السوائل... لقد وجد طريقةً لاختبار ربّه!

قام من فوره وتوضأ بنشاط. مدّ يده إلى الرف وتناول القرآن ونظرات والديه تتابعه بسرور وقد أشرقت عيونهما بفرحة مرافقته لهما إلى المسجد لإحياء ليلة القدر، لكن الفرحة لم تدم. لقد توجه إلى غرفته وأقفل الباب مفضلاً إحياء ليلة القدر في غرفته وحيداً لا في المسجد مع الناس.

(4)

في غرفته وبعد أن قرأ شيئاً من القرآن أطفأ الضياء وشرع بالصلاة.
بعد الصلاة بدأ بالدعاء ساجداً مناجياً ربه بلغةٍ أشبه بجوار مع صديق.
قال في دعائه:

إلهي صدقني إنني أحبك، لكنني عاتب عليك.... عاتب عليك بشدة.... لا أدري هل عتابي هذا حرام أم لا؟ أنا أعلم أن الاعتراض على حكمك حرام، لكنني لست راضياً عن إصابتي بالسكر، أعترض فقط على حكم واحد من أحكامك؛ إصابتي بالسكر.... هذا المرض اللعين الذي خلقته معي منذ خلقتني... يقولون إنه ابتلاء منك... لماذا اخترتني من دون باقي المواليد لتبتليني بالسكر؟ هل أذنبتُ - وأنا ابن نفاس - ذنباً لتعاقبني عليه؟ هل من معنى لابتلاء طفل حديث الولادة؟ حسناً، لنقل بمعقولية الابتلاء، ما هي نتيجة الابتلاء؟ هل وجدتني صابراً فترفعه عني؟ أم وجدتني جزعاً فتعاقبني؟ بل متى تظهر النتيجة؟ طيب، دعني أقل لك منذ الآن إنني جزعت... وسوف أبقى جزعاً.. فما هو قرارك التالي بعد أن عرفت النتيجة، وبعد إقراري شخصياً بها، وتحمل مسؤوليتها؟

إلهي صدقني لا أريد إساءة الأدب معك، لكن صبري نفذ... لا أريد المرض، أريد العافية.... ألم يقل رسولك إن عافيتك أحب لي؟ أنا أيضاً أقول عافيتك أحب لي، فلماذا لا تعافيني من مرض السكر؟ إلهي أنت قلت ادعوني أستجب لكم، وقلت إنك على كل شيء قدير وأنت أرحم الراحمين... تريد أن تبتليني؟ تختبرني؟ حسناً أنا أريد أن أختبرك... أختبر وعدك بإجابة المضطر، وأختبر قدرتك على شفائي، وأختبر رحمتك بي.... إذا كنت فعلاً تجيب الدعاء، وإذا كنت فعلاً أرحم الراحمين، وإذا كنت فعلاً على كل شيء قدير، فشافني من مرض السكر. واعدرني يا إلهي على هذه الوقاحة.. أعلم أنها وقاحة، لكنني أرجوك... أرجوك أن تتحمل وقاحتي وتعذرني.... إلهي شافني من مرض

- يعني أعظم من جبرائيل؟
- نعم، فجبرائيل أحيل إلى التقاعد منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، أما أنا فمشغول جداً لا أكاد أحصل على دقيقة استراحة
- قل لي من أنت؟ ما اسمك؟
- أنا عقلائيل
- عقلائيل؟ هذه أول مرة أسمع بهذا الاسم
- نعم، أنا مجهول بالرغم من دوري الكبير في كل شؤون البشر
- وهل يمكن أن يجهل البشر من له دور كبير في كل شؤونهم؟
- لقد جهلوا الله الذي خلقهم فهل تستكثر أن يجهلوا ملكاً مخلوقاً من قبله سبحانه؟
- طيب ما هي واجباتك؟
- أنا أجلس في السماء السادسة تمر عن طريقي كل طلبات العباد الصاعدة إلى السماء السابعة، وكل الأوامر النازلة من تلك السماء إلى الأرض... أنا أقوم بالتنفيذ
- يعني أنت أشبه بال...
- أشبه بالسكرتير
- يعني يمكن أن نسميك سكرتير الله؟ أم أن هذا كفر؟
- يمكنك ذلك، سمني ما شئت، نحن نهتم بالجواهر والنيّات أكثر من اهتمامنا بالمظاهر والشكليات. لسنا تكفيريين نترصد زلّة لسان أو طريقةً فنيةً للتعبير عن الحقائق الدينية. ألم يقل الله: من أتاني مشياً أتته هرولة؟ ألم يقل بل يدها مبسوطتان؟ هذه أساليب في التعبير يستعملها حتى ربّ العزة الذي أنزل معجزة البيان على أكمل إنسان.
- تشرفنا يا سيدي
- دعنا ندخل في صلب الموضوع ولا نضيع وقتاً. أنت لديك أسئلة وأنا مكلف بالإجابة عنها.

- أية أسئلة؟
- تلك التي كنت تقولها في دعائك قبل قليل وأنت ساجد
- أها...مرحباً بك...يا لها من فرصة سعيدة
- أسعدك الله، لكنني سأجيب عليها بالطريقة الإلهية.
- كيف؟ ما هي الطريقة الإلهية؟
- تستطيع أن تتعرف عليها من اسمي
- من اسمك؟ كيف؟
- اسمي عقلائيل، وهذا يعني أن الطريقة الإلهية تعتمد على تفعيل دور العقل
- هذا شيء جيد
- جيد عند الذين يستخدمون العقل، لكنه متعب عند غيرهم، لذلك تجد أكثر
- الناس اليوم متعبين. عندهم الكثير من الذكاء، وعندهم الكثير من المعلومات،
- والكثير من العلوم، لكن أكثرهم لا يعقلون.
- لا يعقلون مع أن عندهم الكثير من الذكاء، والكثير من المعلومات، والكثير من
- العلوم، كيف أفهم هذا؟
- أنت تخلط بين العقل والذكاء، وبين العقل والمعلومات
- طيب اشرح لي الفرق
- العقل هو السائق، والذكاء والمعلومات أدوات. قد تجد عاقلاً قليل الذكاء، وقد تجد
- ذكياً قليل المعلومات العاقل الحقيقي هو المؤمن الحقيقي.
- معقول؟ يا رجل، عفواً يا ملك، هؤلاء العلماء والمخترعون ورؤاد الحضارة الحديثة
- كلهم لا يعقلون؟
- لم أقل ذلك، إنما قلت من لم تقده معلوماته إلى الايمان بالله فليس بعاقل وإن كان
- عالم ذرة. ناولني هذه الساعة التي في معصمك
- تفضل، خذها

- هل من صانع ماهر صنعها؟ أم تكونت من خلال تراكم عشوائي غير مقصود لأجزائها؟
- فهمت قصدك، تعني أن من يسير أغوار الكون بعلومه ثم يقول إن هذا النظام الكوني المذهل وُجد عن طريقة الصدفة العمياء لا يُعتبر عاقلاً
- بالضبط، إنه ذكي، لكن ذكائه لم ينفعه، وعالم لكن علمه لم ينفعه. إن العقل هو الذي يستفيد من المعلومات ومن الذكاء. اللص ذكي لكنه ليس عاقلاً، والحكام الطواغيت وأتباعهم أذكىء لكنهم ليسوا عقلاء. دعنا نعد إلى موضوعنا الأصلي
- الطريقة الإلهية تعتمد على تفعيل دور العقل، طيب وماذا تفعلون مع العقول النائمة؟
- نلجأ إلى إيقاظ العقل بتجارب وأحداث تخلق للإنسان معاناةً تحرك عقله للعمل فنحصل على النتائج المطلوبة.
- وإذا عجز؟
- نستخدم معه وسائل إيضاح.
- طيب قل لي ماذا سوف تستخدم معي؟
- لأنك فشلت في استخدام عقلك فقد لزم استخدام وسائل الإيضاح معك، وقد حصلتُ على إذن من السماء السابعة بإعطائك فرصة استثنائية... لا تضيع الوقت، تقدم واجلس بين جناحيّ لأحملك معي إلى مكثي وهناك نكمل الحديث.

(6)

تقدّم بسرور ونشوة لم يخالطها خوف، جلس بين الجناحين فطار به الملك وفي لحظات معدودة أصبح فوق الكرة الأرضية ورأى الناس يصغرون، ورأى الأرض التي يتقاتل الناس على امتلاك بضعة أمتار منها تتضاءل لتصبح بحجم برتقالة ثم بحجم حبة حمص، ثم

تختفي.. وخفت ضوء الشمس تدريجياً حتى اختفى وعمّ الظلام. وخرج بسرعة من المجموعة الشمسية وبعد مدة حطّ به الملك في السماء السادسة، على بعد خطوات من مكتب سكرتير الله عقلائيل.

في الطريق إلى المكتب لاحظ الشاب عموداً ضخماً يمتد من السماء السابعة نزولاً إلى الأسفل. أثار العمود فضوله فالتفت إلى عقلائيل متسائلاً:

- ما هذا العمود؟
- إنه كابل الطاقة
- أية طاقة؟
- الطاقة التي تزوّد كل الوجود بالقدرة على الحركة
- كل الوجود؟ الأفلاك والنجوم والكواكب؟
- والخلايا والذرات والأحياء وكل شيء..... لا يتحرك شيء ولا يحدث شيء من دون طاقة، وهذا كابل الطاقة الرئيسي الذي يزوّد الوجود. لا تشغل نفسك به، سنتحدث يوماً عنه. عندنا اليوم مهمة أخرى .
- قاده عقلائيل إلى مكتبه الفخم المليء بأزرار لا نهاية لها، يقف أمام كل زرّ ملك ضخّم يعمل تحت إمرته ملائكة أقل منه رتبة، ما إن دخل عقلائيل حتى وقفوا له جميعاً احتراماً وتبجيلاً.

(7)

شعر بالقدسية لأنه الآن في مكتب سكرتير الله حيث تمر كل شؤون العباد الصاعدة والنازلة، كما شعر بالهيبة لأنه يجلس على بُعد خطوات من كابل الطاقة الرئيسي للوجود.

قدّم عقلائيل للشاب كرسيّاً ليجلس عليه ثم قال له:

- عندي موافقة على إعطائك صلاحياتي

- يعني بإمكانني أن.....
- بإمكانك أن تمارس نفس ما أمارسه من أعمال....هنا تصل دعوات العباد وطلباتهم، ومن هنا تصدر القرارات بشأنها وفقاً للصلاحيات المخولة لي من السماء
- السابعة
- إذن أول طلب هو....
- شفاؤك من مرض السكر
- نعم
- هذا حصل، لم تعد مصاباً بالسكر
- ما شاء الله، الحمد لله، الحمد لله...ولالأبد؟
- القرار بيدك، تريده للأبد؟
- نعم، بالتأكيد
- نحن هنا لا نصدر قرارات مستعجلة، أغلب القرارات تأخذ وقتاً قبل الإصدار
- لماذا؟
- ستعرف بعد قليل من ممارسة صلاحياتي هنا
- ولا يمكن أن تقول لي الآن؟
- إذا قلت لك سوف لن تفهم وإذا فهمت سوف لن تتحمل
- أرجوك قل لي، ولو بإيجاز
- بإيجاز. لا بد من مراعاة عنصر الزمن
- لم أفهم
- نحن نستطيع أن نلبي كل الطلبات التي يقدمها العباد، فلا حدود لقدرتنا، لكن إغفال عنصر الزمن والتلبية الفورية لكل الطلبات يؤدي إلى انهيار المنظومة الحياتية كلها، ويتعارض مع الهدف الأساسي من الحياة.
- لم أفهم

- حسناً سأقول لك باختصار وبتبسيط شديد. لو أننا حققنا جميع رغبات العباد فوراً وبدون تأخير، فستخلو الشوارع تماماً من المارة.
- لماذا؟
- لماذا يخرج الناس من البيوت؟ الذي يطلب المال أعطيناه ما يطلب فوراً وهو في بيته، فلم يجد ضرورة للعمل والكسب
- لكنه سيخرج لكي يشتري به ما يريد.
- من من يشتري؟ لا يوجد بائع. الباعة كانوا يطلبون المال فجاءهم المال الذي يطلبونه وهم في بيوتهم، فلماذا يفتحون دكاكينهم ومتاجرهم؟
- لكنه بحاجة للطعام
- الطعام أيضاً صار يصلهم بمجرد الدعاء..
- يا إلهي... واصل حديثك
- لا بد من عنصر الزمن وعنصر المعاناة، أي الجهد والجهد.
- أي إن عنصر الزمن وعنصر المعاناة ضروريان للحياة
- بالضبط
- زدني أرجوك
- لو حذفنا عنصر المعاناة وعنصر الزمن، واستجبنا دعوة كل داعٍ وحققنا رجاء كل راجٍ، فسيطلب كل إنسان أن يكون أعلم الناس وأغناهم وأعلاهم منزلة... أي أن يصبح كل الناس رؤوساء جمهوريات، فمن سيكون الشعب الذي يمارسون عليه رئاستهم؟ وإذا أصبح الجميع وزراء فمن يقوم بالأعمال الأخرى؟ ولو أعطينا كل فقير منجم ذهب، فسيصبح سعر الذهب بسعر التراب لوفرتة
- هذه حكمة عظيمة، شكراً لك يا سيد عقلائيل، كيف عرفتها؟
- بالعقل، لا تنس أن اسمي عقلائيل. بالعقل تعرف أنه عندما نلغي عنصر الزمن ونحقق الرغبات البشرية فوراً فإننا نقضي على الحياة. لا بد من أن تمرّ الإجابة

بسلسلة إجراءات نسميها السنن ويسميها البشر القوانين، سواء كانت قوانين طبيعية أو قوانين اجتماعية. وعنصر الزمن ضروري لهذه السنن، فبدون الزمن ينعدم القانون، وبدون السنن تنعدم الحياة

● إذن لماذا ندعو ونطلب من الله ما نريد؟ هناك سنن نتبعها وكل يحصد منها ما تعطي.

● للدعاء وظيفتان: أحدهما تربوية، والأخرى تنفيذية. تربوياً نعرف الداعي بمصدر القرار في الكون وفي حياته ليتوجه إلى المصدر دائماً ولا ينساه في غمرة مشاكل الحياة، أما تنفيذياً فهو يحقق للداعي طلبه لكن عن طريق السنن لا عن طريق المعاجز، وهنا يأتي عنصر الزمن الذي نعبر عنه بالصبر.

● هناك أمور كثيرة في مسألة إجابة الدعاء لا أفهمها.

● ستفهم بعد حين، لا تعجل. تعال هنا اجلس خلف لوحة المفاتيح هذه واستلم الطلبات ورد عليها بما تراه مناسباً.

● أنا لا أعرف هذا العمل، لم أمارسه من قبل

● لا عليك، أنا يجنبك، سلني إذا التبس عليك أمر

● أحب أولاً أن أرى طلبات أمي وأبي وأحققها

● أمك وأبوك؟

● نعم

● يا رجل إنهما الآن في عالم البرزخ

● ماتا؟!!!

● منذ قرابة ألف سنة

● ألف سنة؟

● نعم، إن الرحلة من الأرض إلى السماء السادسة تستغرق يوماً واحداً فقط، لكن

هذا اليوم . يعادل ألف سنة من أيام الأرض

- رحمهما الله... لكن ما لي لا أشعر بالحزن لفراقهما؟ وما لي تلقيت الخبر بكل برود؟
- من يجلس في السماء يتسامى عن انفعالات أهل الأرض... لا تضيع الوقت، ابدأ بتلبية الطلبات العاجلة للعباد الداعين.

(8)

- . وكيف أعرف أنها عاجلة؟
- . من الضوء الأحمر على الشاشة.... انظر هذا مثلاً.. ادخل عليه وانظر ماذا يريد وحقق له طلبه
- . إذا كان مؤمناً طبعاً
- . لا، نحن هنا نعطي للمؤمن وللكافر...الميزان هنا هو الاضطرار، فنحن نجيب المضطر إذا دعا، بغضّ النظر عن إيمانه أو كفره.
- دخل الشاب على الطلب الأحمر فسمع دعاء شاب يطلب من الله أن يزوجه أجمل فتاة خلقها الله
- ردّ على طلبه
- أعطيه هذه الفتاة؟ أم....
- لا تستح، قل
- ممممممممم
- تريدها لنفسك؟ أليس كذلك؟
- بصراحة؟ نعم
- لست وحدك، ملايين الشباب يريدونها لأنفسهم، ولأنها أجمل فتاة فهي واحدة فقط.. قرّر أنت لمن نعطيها؟

- لا أعرف
- لو أعطيناها لأي شاب فسنحرم الملايين، أليس كذلك؟
- صحيح
- إذن مهما عملنا فسنحرم ملايين من الشباب من تحقيق رغبتهم، ولا بد من تخيب أمل الملايين
- صحيح. إذن ماذا نفعل؟
- اترك هذا الطلب. دع صاحبه يتعلم أن الحياة الزوجية ليست بالجمال فقط، ودعه يتعلم أن المرأة ليست سلعة يطلبها من يشاء فتعطى له دون أن يكون لها رأي أو إرادة.
- إذن أهمله؟
- نعم، وانظر في الطلب العاجل الآخر.
- هذه استغاثة صياد غرق مركبه في عرض البحر. هل نرسل له ملكاً ينتشله من البحر في الحال؟
- ما نفعله عادةً هو أن نلقي في ذهنه أن يلتفت يميناً فيجد خشبة كبيرة انفصلت من قاربه المكسور، يتعلق بها لبعض الوقت...
- هذا كل ما تفعلونه؟
- وخلق الإنسان عجولاً... لو انتظرت قليلاً لسمعت باقي الإجراءات....
- ثم نوحى للسمك أن يختفي من منطقة صياد آخر يتواجد قريباً منه، ثم نلقي في ذهنه أن يبحث عن السمك في المنطقة التي غرق فيها الصياد الأول حيث يعثر عليه متعلقاً بالخشبة وينقذه.
- أليس من الأفضل أن نرسل فوراً ملكاً ينتشله من البحر ويوصله إلى البر؟
- اعط الأوامر التي قلت لك عنها ولا تترك الصياد الغريق ينتظر، وسأخبرك لماذا نتبع هذه الإجراءات

أعطى الشاب أوامره بموجب البروتوكول المرتبط بالإنذار الأحمر ثم التفت إلى عقلائيل يسأله:

- طيب قل لي لماذا لا نرسل ملكاً ينتشله من البحر ويضعه على الساحل؟
- سأسترسل مع طريقة تفكيرك....أليس من الأفضل أن يضع الملك الصياد في بيته ولا يلقيه على الساحل؟ أليس الإحسان بالإتمام؟ لماذا يلقيه على الساحل متعباً جائعاً قد تأخر عن أهله وقد قلقوا عليه؟ لماذا نزيد في معاناته ومعاناة أهله؟ دعنا نقل للملك أن يضعه في بيته..... ما رأيك؟
- والله ممتاز
- طيب. لإكمال المعروف لنجمع له السمك الذي اصطاده قبل غرق قاربه ليأخذه الملك معه إلى البيت يسلمه إلى أهله لتتم الفرحة
- ممتاز جداً
- ما رأيك أن نسلم أهله كنزاً ينفقون منه ويغنيهم عن هذه المهنة الشاقة؟
- أحسن وأحسن، والله أنا أشفق على هؤلاء المساكين
- والأفضل أن نفعل هذا مع كل الصيادين؛ فلدينا القدرة على ذلك، ونحن أرحم منك بحالهم
- أي والله صحيح
- حسناً أكبس على هذا الزر لترى النتيجة لو فعلنا ذلك

(10)

كبس الشاب على الزر الذي دله عليه الملك، فانفتحت صفحة فيها صورة حية عن الدنيا بدون صيادي سمك... كانت الصورة مهولة؛ تعطل قطاع صناعة القوارب وأغلقت الكثير

من الأسواق والمطاعم أبوابها وتسكع العاملون فيها في الشوارع يستجدون الناس، بينما امتلأت المستشفيات بمرضى مصابين بأمراض الغدة الدرقية الذين كانوا يجدون في السمك مادة اليود الضرورية لعملها، وتزايدت حالات سوء التغذية في كل مدن العالم الساحلية حيث تشكل الأسماك المصدر الأساسي للبروتينات.

مد يديه فوراً لإغلاق الصفحة، لكن عقلائيل طلب منه ألا يستعجل بالإغلاق بل يواصل التفرج على النتائج.

واصل التفرج وسرّع الأحداث فإذا به يجد أولاد الصيادين الذين ورثوا ثروة آبائهم قد اعتادوا الكسل بسبب الإنفاق من ثروتهم الموروثة، ولما نفدت بقوا حائرين بلا مال ينفقونه ولا عمل يحسنونه.

وواصل متابعة النتائج فوجد اضطرابات سياسية وتفشي جرائم وانتشار أمراض و...و... لكن عقلائيل نظر إليه قائلاً:

. والآن أيهما أفضل أن نرسل له ملكاً ينتشله؟ أم نرسل له خشبة وزميلاً له لكي تتقوى أواصر الصداقة بين أصحاب المهنة الواحدة، ولكي يتعلم الصياد كيف يؤمن رحلته من الأخطار في المرات القادمة، ويكتسب تجربة يضيفها لتجارب الآخرين فتتمو المعرفة البشرية بالخطأ والتجربة؟

أجاب الشاب:

● صحيح

فردّ عليه عقلائيل:

● لكن هذا الخيار ينطوي على معاناة مستمرة للصيادين وأهلهم، ولا يوفر لهم عيشاً

مريحاً ولا أرباحاً طائلة... ما رأيك؟

● الآن فهمت... لو أعطينا كل عامل كنزاً فلن ينزل أحد إلى سوق العمل

● وماذا يحدث؟

● ستتوقف كل الأعمال

- وإذا توقفت؟
- ستتوقف الحياة... سيموت الناس جوعاً
- نطعمهم... نحن قادرون على ذلك... نرسل لكل عائلة طعاماً جاهزاً... ثلاث وجبات في اليوم تصلهم إلى باب البيت... نحن قادرون على ذلك... لا نخسر شيئاً، ولا نبذل جهداً.... ألا ترى أن الرحمة الإلهية تقتضي ذلك؟
- ستفقد الحياة معناها وتفقد طعامها تماماً.... أشكرك جداً على هذا الدرس
- طيب، واصل عملك... انظر إلى الإشارة الحمراء التي أضاءت هناك

(11)

كبس زر الإشارة فاستمع إلى شكوى من فلاحين حرثوا الأرض وبذروا بذورهم فلم تمطر السماء فرفعوا أيديهم إلى السماء طالبين أن يرحمهم الله بغيث يسقي زرعهم.
سأله عقلائيل:

- ماذا تقترح؟
- نرسل لهم فوراً ملك السحاب ينزل المطر
- قبل أن ترسل لهم المطر اكبس الإشارة الأخرى وانظر ماذا يريد عمال البناء في المنطقة المجاورة لحقول الفلاحين.
- إنهم أنجزوا مرحلة شاقة في مشروعهم السكني وينتظرون شروق شمس تكفي لتجفيف الملاط ويدعون الله أن يرزقهم أسبوع صحوٍ لكي لا ينزل مطر يخرب ما بنوه
- طيب.. ماذا نفعل الآن؟ نرسل المطر؟ أم لا نرسله؟
- ها؟..... حيرة والله.... لا أعلم
- ماذا فهمت من التعامل مع طلبات العباد في هذه المفردات البسيطة؟
- فهمت أن طلبات العباد مختلفة، وأن تلبية طلبات بعضهم يضر ببعضهم الآخر

بطونهم رؤية أقدامهم.... محمومون يتقدون ناراً.... مبطونون.... مسلوسون.... أقزام بسبب نقص الهرمونات.... عمالقة بسبب زيادة الهرمونات.... كلهم يرفعون أيديهم إلى السماء طالبين الشفاء العاجل من الرحمن الرحيم القادر على كل شيء... ووجد فئة منهم تصطف خلف إمام يدعو لهم بالشفاء.. أصغى له فسمعه يدعو لهم أن يشفيهم الله من مرض السكر!..

تدخل عقلائيل وسأل الشاب:

- ماذا تقول؟ أنحقق لجميع المرضى طلباتهم؟
- لو أرجعت الأمر لي فأنا أحققه
- حسناً أكبس زر المستقبل وانظر للنتائج

كبس زر المستقبل فظهرت النتائج تبعاً... إغلاق كافة المستشفيات والصيدليات ومعامل الأدوية ومختبرات البحوث والصناعات الكيميائية المرتبطة بها والمزارع التي تنتج بعض موادها الأولية.

هزّ الشاب كتفيه قائلاً:

- . ليكنْ.... بضعة آلاف أصبحوا بطالين... لبحثوا عن عمل آخر... يمكن تأهيلهم للانخراط في اختصاصات أخرى.
- قال له عقلائيل:
- . لا تستعجل... واصل النظر إلى المستقبل.

اعتذر عن العجلة وردد هو هذه المرة الآية: "وخلق الإنسان عجولاً".

تابع التفرج على سلسلة الأحداث في زر المستقبل فرأى الكرة الأرضية مملوءة بالشيخ والمستين.... اختفى الشباب والأطفال... ازدحمت المدن والشوارع.... تنامت الكتلة السكانية وزحفت على المساحات الزراعية.... انخفضت نسبة الطبقة العاملة وارتفعت

نسبة المتقاعدين بسبب الشيخوخة....تعطلت الصناعة والزراعة والخدمات والتعليم....
أصبحت الحياة جحيماً لا يطاق، فالعمل قليل والمحتاجون للخدمة كثير والكتل البشرية التي
تملأ الشوارع والبيوت بسبب الانفجار السكاني عطّلت الحياة

- ما سبب هذا الانفجار السكاني؟
- القضاء على المرض
- معقول؟
- قضينا على المرض فتصاعد النمو السكاني بسبب استمرار المواليد وعدم حدوث وفيات
- أها...لم أفكر بهذا من قبل
- والحل؟
- رفع نسبة الوفيات
- كيف؟
- نعيد المرض إلى الحياة البشرية
- كل الأمراض، ما عدا مرض السكر !
-
- . ما لك ساكت؟
-
- قل شيئاً...أي شيء
- حسناً ما رأيك بالفكرة التالية
- وهي؟
- أن يكون هناك مرض، ولكن بدون ألم
- حسناً اكبس على زر مستقبل مرض بدون ألم

(12)

وكبس على زر المستقبل ليرى كيف تصبح الحياة إذا كان المرض مجرداً من الألم وظهر له شريط طويل طويل فيه أحداث جسام ومفاجآت عظام... خدش صغير لا يلتفت صاحبه إليه بسبب غياب الألم فإذا به يلتهب ويتعفن وتصل السموم الى الدم فتنتشر في كل الجسم، والمصاب يمارس حياته الطبيعية ولا يراجع طبيباً ولا مستشفى حتى تقضي السموم عليه.

آلاف الناس من مختلف الأعمار يسقطون موتى في الشارع فجأة... تضيق شرايين قلوبهم فأصابتهم ذبحة صدرية لم تسبب ألماً فلم يلتمسوا لها علاجاً... تطورت إلى جلطة قلبية وبدون ألم أيضاً... واصلوا نشاطهم الطبيعي بدل أن يتلقوا العناية المركزة في قسم الإنعاش... وكانت النتيجة أن تمزقت عضلة القلب وسقطوا موتى دون سابق إنذار.

- الآن ما رأيك؟ هل نقضي على الألم؟
- لا... لا يجوز ذلك
- هل نقضي على المرض؟
- لا... ليس من الحكمة
- لكن من الرحمة أن نقضي على المرض أو على الأقل أن نقضي على الألم
- لا، لا، .. أرجوك... لا يصح هذا
- أليس القضاء على الألم والمرض رحمة؟
- نعم، لكنه ليس من الحكمة
- إذن يمكن تعطيل الرحمة لصالح الحكمة
- نعم نعم بالضبط
- أعد عليّ ما قلته

- الحكمة أهم من الرحمة....الرحمة وحدها تفسد كل شيء، لابد من حكمةٍ تقننها
- كيف تقنن الحكمةُ الرحمة؟
- الحكمة لابد أن تحدد متى؟ وأين؟ وكيف؟ وكم نستخدم الرحمة؟
- بدأ عقلك يعمل بالشكل الصحيح
- فعلاً...وأزيدك
- تفضل
- استخدام الرحمة بدون حكمة سلك يومي لكل البشر
- كيف؟
- لو لم نقيّد الرحمة بالحكمة لامتنعت الأم عن إعطاء الدواء المر لطفلها، ولرفضت إعطاءه حقنة اللقاح ضد الأمراض، ولأطلقت الدولة سراح كافة المجرمين، ولتوقفت كل عمليات التدريب المدني والعسكري على المهن والأعمال، بل ولتعطلت كل القوانين التي لابد أن تقيّد الناس وتمنعهم عن فعل ما يرغبون
- ممتاز جداً، هل لك أن تختصر لي هذا بكلمة؟
- نعم، الحكمة أهم من الرحمة، وهي التي تمنع الاستجابة الحرفية والفورية للدعاء، ولا بد من التسليم للإرادة الربانية والصبر عليها
- فما اعتراضك على إصابتك بالسكر؟
-أ.....أ..... يعني لماذا توقفت الحكمة على إصابتي بالسكر دون غيري
- سؤال وجيه
- نعم أجبني لماذا أنا بالذات؟
- لماذا أنت بالذات؟
- نعم، قل لي لماذا أنا بالذات من بين الآلاف من المواليد؟
- أولاً لست وحدك من أصيب بالسكر منذ الولادة، فهناك الآلاف مثلك لكنك لا تعرفهم لأنهم منتشرون في الدنيا وليسوا مجموعين في محلّتك أو مدينتك

- صحيح
- ثانياً لماذا أنت بالذات من بين من تعرفهم، أليس هذا ما تقصده؟
- نعم، صحيح
- حسناً... هل أنت الوحيد الذي ربك الله، والآخرون لهم رب آخر؟
- طبعاً لا
- إذن لأجل الجواب على سؤالك لماذا أنت بالذات لنفترض أن السكر لم يكتب عليك بل كتب على غيرك، ألا يقول غيرك: "لماذا أنا بالذات؟"
- حتماً سيقول
- إذن هذا السؤال في الصورة الكلية هو سؤال عبثي وعلينا إهماله والانتقال إلى السؤال الأصلي: لماذا الإصابة بالسكر؟
- نعم، لماذا الإصابة بالسكر؟
- السؤال عندك بهذه الصورة لأنك مصاب بالسكر، أما عند مرضى السرطان فهو: لماذا الإصابة بالسرطان؟
- صحيح
- وبالتفكير البسيط نرى أن السؤال الوجيه هو السؤال الكبير والأساس: لماذا المرض؟
- وقد أجبنا على السؤال حول المرض وعرفنا أخطار القضاء على المرض وحذفه من الحياة البشرية
- وعرفنا أيضاً ضرورة الألم وأخطار حذفه من الحالات المرضية
- والله لقد أسديت لي خدمة يا سيد عقلائيل لا يقدرها إلا الله. الآن فهمت أن علي أن أرضى بمرضي، بل وأشكر الله على ما أصابني، لكنني قد شفيت
- أنت الآن أمام امتحان صعب
- ما هو؟

- لقد شفيت من السكر، لكنك لا يمكن أن تعيش بدون ابتلاء... لا بد من معاناة، فالحياة بدون معاناة تعني الجمود والسكون المطلق
- كيف؟
- إن المعاناة من الجوع هي التي تحفز على العمل للكسب، والمعاناة من الفقر هي التي تدفع للنشاط والإبداع للحصول على المال، والمعاناة من الظلم هي التي تدفع للكفاح من أجل العدل
- أفهم ذلك، لا بد من معاناة
- أصلاً بدون المعاناة تفقد الحياة معناها وطعمها. بل أكثر من ذلك بدون التعب هل تعرف معنى الراحة؟ بدون المرض هل تعرف معنى الصحة؟ بدون الجوع والعطش هل تعرف معنى الشبع والارتواء؟ بدون القبح هل تعرف معنى الجمال؟
- وبضدها تعرف الأشياء؟
- نعم.
- إذن لا بد من ابتلاء... لا بد من معاناة
- صحيح، والآن نعطيك امتيازاً هو: أن تختار أنت ابتلاءك بنفسك بعد أن عرفت أنه لا بد من ابتلاء... ماذا تختار من ابتلاء؟
- سأفاجئك كما فاجأتني بأشياء كثيرة
- كيف؟
- أنا أختار السكر
- والسبب؟
- لأني عرفت كيف أتعامل معه، أعرف كيف أنظّمه، وأعرف الجرعة اللازمة من الأنسولين، وأعرف كل ما أحتمه عنه، وقد تعودت على تنظيم حياتي بوجوده فلم أتخلف عن دراسة ولا عن عمل ولم أحرم نفسي من نشاط اجتماعي أو متعة أو سفر أو علاقات عائلية أو غيرها

- يعني تريد أن نعيد لك السكر؟
- نعم، سكر مع قلب سليم وكبد سليم ورئتين سليمتين وكليتين سليمتين ودماع سليم وأعصاب بلا شلل وعقل بلا خطل وأهل وعشيرة وأمان ووطن وعلم ونشاط....
- كل هذه نعم عظيمة لا أبدلها بالشفاء من السكر
- رضيت بالقضاء؟
- وأشكر الله عليه ما حييت
- هذا من بركات ليلة القدر
- والآن ماذا أفعل؟
- تعود إلى الأرض وتستخدم عقلك
- وتتركني؟
- لا أترك لحظة واحدة... أتدري لماذا؟
- لماذا؟
- لأنني أعظم نعمة وأعظم رحمة وهبها الله لعباده
- طيب متى أراك؟
- متى شئت
- أين أراك؟
- أنا موجود معك
- أين؟
- أنا هنا
- أين؟ أنا لا أراك الآن
- أنا في رأسك.. أنا العقل